الارتداد ـ الذي يرى العظم ان السادات خرج منها ـ وحاول ان يرى وضع المقاومة الفلسطينية من منطلق « ان العجز في مواجهة حملات التطويق والابادة المتنوعة الاشكال والمستويات التي شنها اليمين العربي ـ بدعم اسرائيلي ضمني وغير مباشر احيانا ، وبتدخل اسرائيلي عسكري مكشوف ومباشر ومتمم في احيان اخرى ـ هي المسؤولة عن انتقال الثورة الفلسطينية من الدعوة لتحقيق اهدافها الوطنية عن طريق حرب التحرير الشعبية الطويلة الامد الى الدعوة لتحقيق اهداف اخرى مختزلة عن طريق احلال « السلام العادل والدائم والمشرف » ـ ص ٤٩ » . ولسنا ندري كيف تخلى العظم هنا عن موضوعه « الامة المنخورة » ؟ لماذا يا ترى لا يعيد الى هذا السبب حالة المقاومة الفلسطينية ما دام قد اقره وتبناه من البداية ، ام انه يرى الشعب الفلسطيني ، ليس من هذه الامة ؟.

لقد حاول في موضع اخر الرد على دعاوى ضغوط « اللوبي » الصهيوني على الادارة الامريكية معتبرا اياها ترددا لصدى ما تشيعه الاوساط الاعلامية الامريكية . ويعود لتفنيد الوهم الشائع حول امكانية الضغط والتاثير التي يملكها العرب من خلال « البترول » على امريكا ، مؤكدا « غياب اية سيطرة حقيقية تمارسها التحالفات الطبقية العربية الحاكمة ، الموالية كليا للولايات المتحدة والملتحمة مصلحيا معها ، على قوة الاموال العربية والبترول العربي ـ ١٢٣ » ، وهو يسعى طويلا لكي يثبت هذه الحقيقة . ثم يعود محاولا الكشف عن طبيعة السياسة الامريكية متهما العقل العربي بعدم القدرة على استيعابها « يبدو لي ان العقل السياسي العربي ، بشكل عام ، يجد صعوبة « بنيوية » ـ هنا يعود الى العلة الاصلية من جديد ـ في استيعاب سياسة ديناميكية مائعة وملتبسة كهذه ـ ص ١٤٣ » في حين يكشف لنا عن طريقته هو في فهم واستيعاب هذه السياسة « يشكل هذا الخيط الثابت في السياسة الامريكية جزءا اساسيا من استراتيجية عامة تعمل ليس على فرض الترتيبات اللازمة في « الشرق الاوسط » بهدف تسوية الصراع العربي الاسرائيلي بصورة نهائية ومتوازنة نوعا ما ، بل تعمل على احتواء هذا الوضع المتفجر والتحكم بمجرياته قدر الامكان وتهدئته حين تستدعي المصلحة ذلك ، حتى يتحقق الهدف الاستسلامي المشار اليه اعلاه ، وتتطلب عملية التهدئة المذكورة ابقاء التوتر الذي يولده الصراع تلقائيا في مستوى ملائم من الارتفاع او الانخفاض بما يتناسب مع متطلبات عملية تنفيذ السياسة الامريكية في السيطرة على منطقتنا ويخدم الحاجات العملية لتلك السياسة . انها استراتيجية برغماتية مرنة قابلة للتكيف مع الظروف الطارئة والتلاؤم مع تقلبات الاحداث المستجدة ، والاهم من ذلك انها اثبتت عن نجاح باهر خلال السنوات العشر الماضية ـ ص ١٤٠ » وهذا على اية حال رأي ، قد يحمل بعض الصحة يأخذ فيه العظم دليلا ومقياسا لتفسير المواقف الامريكية من القضايا العربية ، وللتدليل على « قصور العقل السياسي العربي » في مواجهتها .

وهو يلخص اخيرا اراءه قائلا « اكدت في مطلع هذه الدراسة ان انتقال الوطن العربي من « المرحلة الناصرية » الى مرحلة « الحقبة السعودية » عبر هزيمة حزيران ١٩٦٧ وبفعلها (وليس عبر وفاة عبد الناصر او بفعلها) انطوى على قيام التيار اليميني ـ الرجعي ـ الامريكي الصاعد عربيا بتدمير جميع الضوابط الوطنية والكوابح التقدمية التي كانت حركة التحرر العربي قد ارستها بالنسبة لاي تعامل مع العدو الاسرائيلي والامبريالي في المنطقة . من ضمن هذا السياق يمكننا القول ان زيارة السادات شكلت دلالة كبيرة وهامة على انتهاء التيار اليميني الرجعي من عملية الدمير المذكورة ، بعد ان حقق اهدافه منها ، وعلى انجازه الناجح لمهمات احكام سيطرته